في علم اللغة الاجتماعي

أ. د. أحمد محمد قدّور(*)

١) المصطلح والنشأة:

علم اللغة الاجتماعي (أو اللسانيات الاجتماعية) هو العلم الذي يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية المختلفة. ويُعدّ فرعًا من فروع اللسانيات التطبيقية التي دأبت على استثمار اللسانيات وتطبيق مبادئها في فرع من الفروع العلمية الأخرى، كعلم اللغة النفسي والجغرافي والحاسوبي، ونحو ذلك، ولا سيّما تعليم اللغات والترجمة وتأليف المعاجم والتداولية وغيرها. وأصل المصطلح فرنسي (soiciologie linguistique). وقد استعمله ١٩٠٩م راؤول دي لاجراسييه، كما استعمله هدسن ١٩٣٩م، ونيدا ١٩٤٩م، وهوجن عام ١٩٥١م، وكوري عام ١٩٥٢م، وآخرون. غير أنّه لم يكتسب الدلالة الاصطلاحية النهائية إلا في المؤتمر التأسيسي لعلم اللغة الاجتماعي الذي نظمه وليم برايت، وعقد في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلس عام ١٩٦٤م. ونشرت أعماله فيما بعد[١]. ووقف

(*) ألقى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور أحمد محمد قدور هذه المحاضرة في قاعة المحاضرات في المجمع بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٢٤.

(١) اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة لحسن كزار، ص١٥-١٦.

وراء هذا العلم وليم لابوف وجون غامبرز وديل هايمز وآخرون كفرجسون وفيشمان وفاسولد وآلان بيل وغيرهم[٢].

ويدرس هذا العلم جملة من المسائل المتصلة بالمعطيات الاجتماعية لرصد أثرها في اللغة وخصائصها، وحياتها وتطوّرها ووحدتها وتشعّبها، وعلاقة أشكال اللغة: الفصحى واللهجات بطبقات المجتمع والبيئة، والمهن المختلفة، والحالات الثقافية المتعدّدة. وهناك تداخل بين هذا العلم و«علم الاجتماع اللغوي» الذي نشأ في مطلع القرن العشرين مع علم الاجتماع الذي أسّسه دور كايم. ويعدّ بعض الباحثين هذين العلمين شيئًا واحدًا لاشتراكهما في أغلب الموضوعات الدرسية. لكنْ مع ذلك، فإنّ بينهما فرقًا في التوظيف. فعلم اللغة الاجتماعي يدرس اللغة في ضوء المجتمع، على حين يدرس علم الاجتماع اللغوي المجتمع في ضوء اللغة. ومن الباحثين من يرى أنّ علم الاجتماع اللغويّ أوسع من علم اللغة الاجتماعي. إذ بينهما علاقة ما بين (Macro) و(Micro)، أي بين الواسع والشامل من جهة، والمختصر والضيّق من جهة أخرى. ولهذا العلم اتصال بعلم اللغة الأنثروبولوجي، وعلم اللغة الإثنولوجي، وعلم الدلالة، والتداولية، وعلم الخطاب. ونظنّ أنّ الأمر استقرّ على استقلال علم اللغة الاجتماعي، ووضوح مقاصده في دراسة اللغة، وإن اشترك مع علوم أخرى في المادة المدروسة. وهو يتّخذ من اللغة وقضاياها أساسًا لمناقشة مستفيضة لها، بداية بوصف اللغة التي هي الموضوع الرئيس له، مع الإشارة إلى علاقتها بالمجتمع[٣].

(٢) القاموس الموسوعي الحديث لعلوم اللسان لديكرو وستشايفر، ص١٩١.

(٣) اللسانيات الاجتماعية لكزار، ص١٩.

إنّ نظرة العلماء تجاه العلاقة بين اللغة والمجتمع أفضت إلى ولادة هذا العلم الجديد الذي أصبح جزءًا معترفًا به في مناهج اللسانيات وفروعها في المستوى الجامعي في النصف الثاني من القرن العشرين. وهو من أهمّ مجالات التطوّر والنموّ في الدراسات اللغوية الحديثة. إنّ القدر الكبير من نموّ هذا العلم قد حدث في الستينيات – كما تقدّم – وبداية السبعينيات. ولذلك يُعدّ مجالًا حديث العهد. وليس معنى ذلك أنّ دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع وليدة تلك الفترة، بل إنّ هناك تراثًا جمًّا قديم العهد في دراسة اللهجات وتطوّر اللغة بتطوّر المجتمع، وعلاقة اللغة بالثقافة، ونحو ذلك من مباحث مختلفة(٤).

ويسعى أصحاب هذا العلم إلى اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي، مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللساني، وتوضيح موقع اللغة في حياة الإنسانية. ومن الممكن أن يدرك علماء الاجتماع كذلك أنّ حقائق اللغة يمكن أن تزيد في فهم المجتمع. فاللغة إحدى القوى التي ساعدت الناس على تطوير القدرة على التفكير، وتنظيم الحياة، وتحقيق درجة التقدّم التي عليها الإنسان اليوم(٥). وهكذا يتبيّن، الأثر المتبادل للغة في المجتمع، وللمجتمع في اللغة، وهما في النتيجة وجهان لعملة واحدة.

ونؤكّد أنّ الكثير من مواضيع هذا العلم كان محلّ نظر اللغويين والمؤرّخين ومدوّني الرحلات والجغرافيين العرب بصورة أو بأخرى.

(٤) المرجع السابق، ص٢٥. وتطوّر علم اللغة منذ عام ١٩٧٠ لجرهارد هلبش، ترجمة سعيد حسن البحيري، ص٣٦٥– ٣٦٦.

(٥) «اللسانيات الاجتماعية في نمطها الكمي»، لقويدر شنان، مجلة جسور المعرفة، ص١٧٧.

والأمر محتاج إلى تقصّ للأعمال العلمية التي ضمّت معطيات من هذا القبيل في التراث العربي، ولا سيّما تلك التي اهتمّت بتطوّر اللغة، وتعدّد المجتمعات، وتباين اللهجات، ونحوها. وقد جمع بعض المحدثين مسائل من هذا النظر ووجّهها وجهة حديثة. وانتهى بعضهم إلى استنتاج أنّ النظر الاجتماعي ظهر في دراسة اللغويين العرب القدامى، وإن لم ينصّوا عليه مبدأ من مبادئ التقعيد. ومع ذلك يُعدّ هذا النظر أصلًا مستأنسًا لديهم باطّراد، ومستشعرًا في تحليلاتهم، على نحو يمثّل استخراجه إحياء لأصل من أصولهم.(٦) والأمل معقود على رفد علومنا بهذا العلم الجديد، والإفادة منه في حلّ المشكلات اللغوية التي تعترض طريق النهضة في هذا العالم الذي لا يني يقدّم كلّ جديد في نسق متسارع.

٣) مسائل علم اللغة الاجتماعي

يعرض هذا العلم لعدد كبير من المسائل الدرسية التي يمكن جمعها في عناوين محدّدة. أهمّها:

أ) **اللغة بين التوحّد والتشعّب**: هناك اتجاهان متضادان في حياة اللغة، اتجاه نحو الانقسام والتشعّب، واتجاه نحو التوحّد والتخلّص من الفروق. ويرى عدد من المختصّين أنّ الوضع الطبيعيّ للغة هو الانقسام والتشعّب. على أنّ هناك أمثلةً كثيرةً على التوحّد. وأهمّ عوامل التوحّد اتّخاذ الأمة عواصم ومراكز إدارية وتعليمية واقتصادية، ونحو ذلك من المناشط المركزية، وكذلك الزواج المختلط، وسهولة الاتصال. ومن أمثلة ذلك

(٦) علم اللغة الاجتماعي لكمال بشر، ص٧٥، ومن الدرس اللساني الاجتماعي لأحمد محمد قدور، ص٦٠ وما يليها.

توحيد اللغة الفرنسية اعتمادًا على لهجة باريس، وتوحيد اللغة الإسبانية اعتمادًا على لهجة مدريد، وتوحيد اللغة الإنجليزية اعتمادًا على لهجة لندن. ومن قبلُ توحّد اللسان العربي اعتمادًا على لهجة قريش ومركزها في الحجاز. أما عوامل التشعّب فأهمّها الانعزال وسوء الاتصال، ونشوء نزعات انفصالية. ومن أمثلتها تفرّع اللاتينية إلى لغات مختلفة كالفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية ولغة رومانيا.

ب) **وظائف اللغة**: وتُدرس هنا الوظائف الرئيسة لِلّغة، كالتواصل الاجتماعي، والتعبير عن الفكر، ونقل الخبرات، ونحوها. وقد تطرّق لها كثير من العلماء قديمًا وحديثًا. كما تُدرس الوظائف الفرعية في مجال علم اللغة الاجتماعي بالنظر إلى المجال (أو الميدان)، والبيئة، والشكل اللغوي، وتكون الوظيفة خلاصة لاجتماع هذه العوامل. من ذلك الوظيفة الرسمية والإقليمية والدولية، ووظيفة التفاهم عبر الحدود، وفي التعليم، والدين، والثقافة، والأدب، ونحو ذلك. ولكلّ وظيفة ممّا تقدّم توصيف دقيق حفلت به أعمال العلماء المحدثين في هذا العلم كـ هاليداي وستيوارت وبونداليتوف وغيرهم. كما ينظر في الأشكال اللغوية التي ترافق الوظائف الاجتماعية كالفصيحة المعيارية، والمحكية (الشعبية العامية)، والهجينة، واللهجات الإقليمية، واللهجات الاجتماعية المختلفة، واللهجات الخاصة، ولهجات النساء والأطفال.

ج) **خصائص اللغة**: هناك جملة من المعطيات الاجتماعية التي تؤثّر في تشكّل اللغة، فتعطيها خصائصها. كالحالة الحضرية، والتعليمية، والفكرية، والدينية، والأسرية (القبلية)، وحالة الإقليم الذي نشأت فيه اللغة، كأنْ يكون

صحراء، أو سهلًا، أو ساحلًا، أو جزيرة، أو جبلًا. فكلّ خصائص الإقليم تنطبع في اللغة. كما تنطبع فيها مظاهر الحياة الأخرى كالحيوان والنبات، وأحوال المناخ، ووصف السماء، والطرق والأراضي. كذلك يظهر في اللغة نشاط السكّان، وعاداتهم، وثقافتهم، ومعتقداتهم.(٧)

د) **تغيّر اللغة**: يُنظر هنا في العوامل الاجتماعية التي تسبّب تغيّرًا في اللغة رقيًا أو انحطاطًا. كانتقال الناس من حالة إلى أخرى في السكن والمعيشة، وأدوات الحياة، وتغيّر الثقافة، وانتشار التعليم، أو سيادة الأمية، والهجرة، والاختلاط، والانعزال، ونحو ذلك. كذلك يؤثّر الصراع اللغوي بين لغتين مثلًا إلى تغيّر في اللغتين معًا، مع نتائج أخرى، كاندثار اللغة وموتها. من ذلك تغيّر البرتغالية في البرازيل، والإنجليزية في أمريكا، والعربية لدى الشعوب الإسلامية، ونحو ذلك ممّا لا يصل إلى مستوى التشعّب والانفصال.

هـ) **الازدواجية اللغوية**: هي حالة قد تكون ثابتة، وتظهر في المجتمع عن طريق اتخاذ شكلين لغويين ينتميان إلى لغة واحدة. أحدهما شكل أعلى، والآخر شكل أدنى. ولكلّ شكل وظائف مختلفة يؤدّيها في المجتمع. ويُعدّ العالم اللغوي الفرنسي وليم مارسيه أوّل من استعمل مصطلح ازدواجية la diglossie) وعرّفه في مقالة تخصّ الموضوع في العربية عام ١٩٣٠م(٨). وبعد ثلاثة عقود من الزمان عام ١٩٥٩م كتب فرجسون

(٧) من الدرس اللساني الاجتماعي، ص١٣ وما يليها.

(٨) «ازدواجية اللغة...» لمحمد راجي الزغول، مجلة المورد، المجلد / ١٤/ لعام ١٩٨٥م، ص١٨. وذكر كيس فرستيغ أنّ ويليام ماركيز أطلق عام ١٩٣٠ اسم الازدواجية اللغوية =

مقالة علمية شهيرة حول الازدواجية في أربع حالات، هي العربية (بين الفصحى والعامية)، واليونانية (بين الكاثارافوسا والديموتيكية)، والألمانية السويسرية في زيورخ (بين الألمانية القياسية، والعامية)، ولغة هايتي (بين الفرنسية ولغة الناس الهجينة)[٩]. ووضع فرجسون جملة من المعايير والفروق[١٠]. هي:

١. الوظيفة. فهناك مجالات محدّدة يُستعمل فيها الشكل الأعلى، على حين يُستعمل الشكل الأدنى في سائر المجالات. ومن مجالات الشكل الأعلى المناسبات الدينية والخطب السياسيّة، والمحاضرات الجامعية، والشعر الفصيح، والبرامج الثقافية الجادّة، والتعليم، والتربية، والتأليف، والترجمة، ولغة الإدارة، والجيش، والشرطة. أما مجالات الشكل الأدنى فالحياة الاجتماعية، والسوق، والأسرة، والأصدقاء، والغناء الشعبي، والبرامج الترفيهية، والمسرح الهزلي، ونحو ذلك من مبادلات نفعية. وأيّ خلط بين وظائف الشكلين يؤدي إلى استهجان، أو سخرية، واستغراب.

٢. المنزلة: فالشكل الأعلى يُعدّ في منزلة عالية المستوى، ولا يقارن بمستوى الشكل الأدنى الذي يُنظر إليه على أنّه انحراف أو خطأ. وكثيرًا ما تُقدّم

= (diglossia) على هذا الحال. وهو مصطلح اقترضه من التسمية التي أطلقت على الحالة اللغوية في اليونان. اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها لكيس فرستينغ، ص٢١٦.

(٩) أي (Haitian creole).

(١٠) انظر ترجمة بحث فرجسون كاملًا في: اللسانيات الاجتماعية لمحيي الدين محسب، ص٤٥-٦٨. وانظر تفصيلًا للموضوع نفسه في: ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق لإبراهيم الفلاي، ص١٧ وما يليها. وانظر كذلك: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع لرالف فاسولد، ترجمة إبراهيم الفلاي، ص٥٧ وما يليها.

نصائح، أو تكتب أعمال لترقية الشكل الأدنى (العاميّ) إلى مرتبة الشكل الأعلى (الفصيح) إيمانًا بأنّ الشكل الأعلى هو الجدير بالاستعمال والتقدير.

٣. التراث الأدبي. يتمتّع الشكل الأعلى عادة بتراث أدبيّ مهمّ، ومدوّنات دينية، وأدبية، وعلمية مختلفة. أما الشكل الأدنى فلا يدوّن عادة، ولذلك يفتقر إلى مثل هذا التراث. ولذلك يغلب عليه أن يكون شفهيًّا تتناقله الأجيال رواية وسماعًا.

٤. الاكتساب. يكتسب الشكل الأدنى من الأم والمنزل والمجتمع من غير تعليم مقصود، أو منظّم. على حين يُكتسب الشكل الأعلى عن طريق التعليم المدرسي والجامعي، أو التعليم الديني. على أنّ هذا الشكل يُتلَقّى عن طرق العبادة، أو الاستماع إلى الإذاعة، والاتصال بالإدارة، ووثائقها الرسمية. فيبقى مفهومًا لدى من لم يحصّل تعليمًا نظاميًّا. ولذلك تبقى مسألة (اللغة الأم) التي تنسب الأم والأسرة، ويُكتسب عن طريقها الشكل الأدنى مسألة مشكوكًا فيها.[١١] لأنّ (الفصحى) هي عندنا لغة أمّ أيضًا. وأما مدار التعليم فيقع على قواعد اللغة، وتراث القوم ومبادئ العلوم أصلًا.

٥. التقنين. تشير حالات الازدواجية إلى أنّ الشكل الأعلى عادة هو الذي كتب له الكثير من كتب القواعد والشروح والمعاجم، وقواعد الأداء والإملاء والخطّ. أما الشكل الأدنى فيفتقر إلى ذلك. وهذا واضح في الحالة العربية، فهناك كمّ هائل من الدراسات النحوية، والمصنّفات اللغوية التي تصف الشكل الأعلى، وتضمّ قواعده، وتضبط أساليبه، وتبرز بلاغته.

٦. القواعد. هناك اختلاف في نظام الجملة بين الشكلين الأعلى

(١١) اللغة العربية لفرستيغ، ص٢١٦.

والأدنى. فعلى حين يميل الشكل الأعلى إلى السير على قواعد محدّدة مطّردة، يميل الشكل الأدنى إلى التفرّع، والتشعّب، وتوليد الكثير من الحالات الجديدة.

٧. الثبات. يمكن أن تُعدّ الازدواجية وضعًا ثابتًا. إذ يحتمل استمراره مئات السنين. كما يمكن ملاحظة الحفاظ على الشكل الأعلى من غير تغيير كبير، أو تحوّل ملحوظ. على حين أنّ الشكل الأدنى دائم التغيير والتعدّد لافتقاره إلى التقنين والتزام القواعد.

٨. التراكيب الصرفية والأصوات. يشترك الشكلان في التراكيب الصرفية والأصوات أصلًا. غير أنّ الشكل الأعلى يحافظ على الأقيسة –كما تقدّم– ويلتزم القواعد الموروثة. أما الشكل الأدنى فيتصرّف بالأبنية، كما يتصرّف بالأصوات زيادة، أو نقصًا، أو تحريفًا.

٩. المفردات. يُلحظ هنا أنّ معظم كلمات الشكلين الأعلى والأدنى مشترك، فهما شكلان للغة واحدة. لكنّ الشكل الأدنى يختصّ بمفردات كثيرة وردته من آثار التحريف، أو الدخيل، أو الاشتقاق العاميّ. على أنّه يُلحظ – كما ذكر فرجسون – أنّ في الشكل الأعلى والأدنى أزواجًا من المفردات التي تخصّ هذا الشكل دون غيره، وضرب على ذلك أمثلة من لهجة القاهرة التي درسها مثالًا لازدواجية اللغة العربية المعاصرة.[١٢] وفي العاميات العربية سيول من هذه الثنائيات. لكنّ إبراهيم الفلاي ذهب إلى أنّ الفروق بين الشكلين الأعلى والأدنى في العربية ليست كبيرة، وأرجع ذلك إلى القرآن الكريم، والشعائر الدينية، والتعليم النظامي بما يحفل به من إحياء

(١٢) في اللسانيات الاجتماعية لمحسن، ص٥٨– ٥٩ (من نصّ فرجسون المترجم).

للتراث الأدبي واللغوي[١٣].

١٠. الانتشار. ويمكن إضافة هذه الخصيصة إلى الخصائص التي ذكرها فرجسون. فازدواجية اللغة ظاهرة اجتماعية عامة. لكنْ ربما تكون المجتمعات الأمية المنعزلة غير قادرة على استعمال الشكل الأعلى. وتلجأ هذه المجتمعات - وكانت كبيرة قبل العصر الحديث - إلى من يؤدي عنها وظائف الشكل الأعلى حديثًا أو كتابة. لكنّ تطوّر التعليم في الوطن العربي، ونجاح محو الأمية نسبيًّا، جعل فئات كثيرة من الناس تدخل في ازدواجية اللغة بعد أن تلقّت تعليمًا، أو تثقيفًا عن طريق وسائل الإعلام.

١١. التعدّد. يُلحظ - في الحالة العربية - أنّ الشكل الأعلى موحّد إلى حدّ كبير. ومع ذلك تبيّن لدى بعض الدارسين مستويان لهذا الشكل، هما (فصحى التراث)، و(الفصحى الحديثة). وهذا شائع في الدراسات الغربية[١٤]. على أنّ هناك من ينكر ذلك، إذ الفصحى واحدة، مع ما اعتراها من تطوّر محدث. وهذا شأنها، إذ تجدّ فيها في كلّ عصر أشياء تغنيها، ولا تخرجها من خصائصها، بل تزيدها ثروة، وسعة، وشمولًا. مع الإقرار بوجود تنوّع أسلوبيّ ضمن شكل واحد للّغة، لا أكثر. أما الشكل الأدنى (أي العاميات)، فأنواع مختلفة جدًّا، إذ بين الواحدة والأخرى فروق لا يستهان بها.

وتنطبق هذه الخصائص جملة على حالة العربية في هذا العصر. أما بقية المجتمعات التي درسها فرجسون كمجتمع أثينا، وهايتي، وسويسرا، ففيها بعض الاستثناء. ففي مجتمع أثينا يعدّ التراث عملًا حديثًا، لأنّه مدوّن

(١٣) ازدواجية اللغة للفلاي، ص١٩٧.

(١٤) «ازدواجية اللغة» لمحمد راجي الزغول، ص٢٥.

بالشكل الأدنى (الذي صار لغةً رسميةً فيما بعد). كما أنّ ألمانية سويسرا العامية تحظى بالاحترام أكثر من الألمانية القياسية. وكذلك فإنّ لغة هايتي المزيجة قد لا تدخل في ازدواجية اللغة لاختلاف انتماء الشكلين إلى لغتين، فرنسية، وهجين. ولذلك قد تصنّف في الثنائية، أو التعدّد اللغوي.

و) **الثنائية اللغوية**. هناك شكل من التعدّد، هو الثنائية التي تظهر بين لغتين مختلفتين في مجتمع واحد. وذكر هارمان أنّ أغلب الدول تعاني من تنوّع لغويّ كبير، وأنّ الأسرة الدولية لم تعرف سوى حالات قليلة من التجانس اللغوي(١٥). ومن أمثلة ذلك في العربية الثنائية بين العربية واللغات الوطنية، كالكردية، والسُّريانية، والتركمانية، مع اختلاف في توزّعها الجغرافي، ولكلّ ناطق بهذه اللغات معرفة بالعربية بشكليها الأعلى والأدنى. وتنتشر في المغرب العربي ثنائية بين العربية واللهجات الأمازيغية المتعدّدة، ولا سيّما حالة المغرب (المملكة المغربية)، وحالة الجزائر، مع وجود لهجات أخرى في مصر وليبيا. وفي عُمان وجنوب اليمن بقايا اللغات اليمنية القديمة كالشحرية والمهرية ولغة سوقطرى، ولهجات أخرى.

وهناك أمثلة للثنائية المفروضة من المستعمر، كالثنائية البائدة في لبنان والجزائر بين العربية والفرنسية، وكذلك هي في تونس، مع انحسار كبير. وكانت بعض أقطار الأمة شهدت ثنائية بين العربية والتركية، ولا سيّما حالة مصر والشام إبان الحكم العثماني. ويمكن أن يُلحظ أنّ تعدّدًا لغويًّا واسعًا يظهر في دول الخليج العربي بسبب توافد العمالة الأجنبية، وتكاد العربية تختفي في تلك البلدان التي تقاسمتها لغات المهاجرين، ولغات

(١٥) تاريخ اللغات ومستقبلها، عالم بابلي لهارلد هارمان، ص٦٩.

المستثمرين، ولا سيما اللغة الإنجليزية. وقد ظهر في تلك البلدان لهجات هجينة (pidgin) أخذت مفرداتها من العربية والأوردو، ولغات الهند المختلفة، واللغة الإنجليزية. وليست هذه اللهجات مقعّدة، إذ هي تداول شفهي هدفه التفاهم في أدنى حدوده. وليس هناك إحصاء علمي دقيق للغات المتعدّدة في أقطار العروبة. ومع ذلك فقد ذكر هارمان أنّ في الإمارات تسع لغات، وفي السعودية وعمان ثماني لغات، وفي الكويت ولبنان وجيبوتي وجزر القمر أربع لغات، وفي البحرين وقطر ثلاث لغات، وغيرها.(١٦) وهناك حالات من التعدّد في بلدان العالم تبلغ المئات.(١٧) ومن الباحثين كفشمان مَن ألحق هذه الحالة بسابقتها، أي الازدواجية. وإن لم تكن من لغة واحدة (فصحى وعامية) اعتدادًا بالوظيفة وحدها، إذ ما دامت هناك لغة تستعمل في الحالات الرسمية، وما يشبهها، ولغة أخرى تستعمل في الحالات العامة غير الرسمية فالحالة هي ازدواجية.(١٨) على أنّ الاتجاه العام هو استقلال الدرس الخاصّ بالثنائية (والتعدّدية) عن نظيره درس الازدواجية.

ز) **اللهجات المحلية (الجغرافية)**، ويُلحق درس اللهجات الحديث بعلم اللغة الاجتماعي، ويُوقف على بيان أثر الإقليم في اللهجات العامّة (koin). وتختلف اللهجات بحسب حالة الإقليم الطبيعية والبشرية. فلهجات الساحل غير لهجات الداخل، ولهجات العواصم غير لهجات

(١٦) المرجع السابق، ص٦٧ - ٦٨.

(١٧) الدليل إلى اللسانيات الاجتماعية لآلان بيل، ص٥٧، ٧٧.

(١٨) ازدواجية اللغة لإبراهيم الفلاي، ص٨٥ وما يليها.

القرى والأرياف والبوادي والصحارى، ونحو ذلك. وأثر الانغلاق واضح في تشكيل هذه اللهجات. على حين يعمل التواصل على ذوبان الفروق، والاتجاه نحو التوحّد.

ح) **اللهجات الاجتماعية**. وهي لجهات تظهر بفعل الاختلاف في المستويات المادية، والثقافية، والمهنية، والمعيشية. وقد تكون الفروق كبيرة بين لهجة وأخرى من هذه اللهجات. وقد تتقارب هذه اللهجات بفعل الاختلاط والمساكنة، والتواصل في الأعمال المشتركة. وكذلك تعمل المنظمات الشعبية، والمؤسسات الثقافية على التقارب بين لهجة وأخرى من هذه اللهجات. ولدراسة هذه اللهجات أهمية بالغة في البحوث الاجتماعية، إذ ترمي دراسة التنوّعات الاجتماعية إلى ربط البنية اللغوية بالبنية الاجتماعية. وهذا الربط من شأنه أن يقدّم مادة وفيرة لعلماء الاجتماع، وعلماء اللسانيات الاجتماعية على حدّ سواء. ومعلوم أنّ اللغة هي المرشد الأوّل إلى طبيعة هذا البناء. وتنبّه هذه الدراسة على مستوى الوضع الثقافي في المجتمع، لِما بين اللغة والثقافة من تلازم واتصال. وتعدّ اللهجات المحلية والاجتماعية جزءًا من العاميات، وتنوّعًا لها[١٩].

ط) **اللهجات الخاصّة**. وهي نوع من اللهجات الاجتماعية التي تتخذ وضعًا خاصًّا، كاللهجات الحرفية، ولهجات الشبان في وسائل التواصل الاجتماعي. وفي بعض الحالة الخاصة الأخرى كلغة اللصوص المحترفين، والعصابات المنظّمة، والمهرّبين. كما يدرس هنا أثر الجنس في اختلاف اللهجة، فتختلف «لغة» النساء عن لغة الرجال صوتيًّا ودلاليًّا، إذ تميل إلى

(١٩) في اللغة والمجتمع لأحمد محمد قدّور، ص٨٤- ٨٥.

الترقيق والتأدّب. وكذلك الشأن في «لغة» الأطفال، وما يتصل بها من تربية لغوية مبكرّة. ومن هذه اللهجات اللهجات السوقية (slang)، وهي تنشأ في قاع المجتمع، ولها انتشار واسع بين الطبقات الدنيا من المجتمع.(٢٠)

ي) **المحظور اللغوي**. ويدرس علم اللغة الاجتماعي المحظورات اللغوية (taboo) التي تعني تحريم استعمال كلمات لا يحسن نطقها ألبتة، فيلجأ إلى استعمال كلمات أخرى تدلّ عليها من باب المجاز أو الكناية أو التلميح. من ذلك كلمات تدلّ على الجنس، وقضاء الحاجة، والأمراض المزمنة، والحيوانات المخيفة، وكلّ ما لا يحسن استعماله صريحًا. ويظهر في هذا النحو من التصرّف اللغوي في الطبقات العليا من المجتمع، وفي إطار التربية وتنشئة الأجيال. وتختلف اللغات في هذا الموضوع، فاللاتينية تعبّر عن المحظورات بأسمائها المباشرة، من غير اللجوء إلى تحسين اللفظ (Euphemisme). أما اللغة الإنجليزية، فإنّها في ذلك كالعربية في تجنّب المحظورات، والتعبير المحسَّن(٢١). ولهذا الموضوع اتصال بعلم النفس اللغوي الذي يدرس العلاقة بين اللغة والمقتضيات النفسية.

ك) **اللغة والموقف**. ويدرس علم اللغة الاجتماعي «المواقف» التي يجري فيها الكلام. ويمكن تسمية ذلك باللهجة الموقفية. وتحدّد هذه اللهجة نسبة إلى الموقف الذي يجري فيه الحدث الكلامي. ويتكوّن هذه الموقف من طبيعة الموضوع، ونوع الشخص المخاطَب (المتلقي)، من حيث العلاقة بينه، وبين المتكلّم، والقناة (الوسيلة) التي تُستعمل في

(٢٠) المرجع السابق، ص٩٣.

(٢١) اللسانيات الاجتماعية لحسن كزّار، ص٥٠.

الاتصال. وفي ضوء ما تقدّم تتنوّع اللغة بتنوّع المواقف. ويمكن حصر المواقف الاجتماعية في مجموعة أساليب، كالأسلوب الجادّ (الرسمي والديني)، والأسلوب العادي، وأسلوب الألفة الشديدة، ونحو ذلك[٢٢]. ويشار هنا إلى أنّ دراسة المواقف رافقت تبيّن وظائف اللغة الاجتماعية، وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك. ويشار هنا إلى دراسة «سياق الموقف»، واستعماله في التحليل الدلالي ولا سيّما نظرية فيرث الذي أولى الوظيفة الاجتماعية أهمية كبيرة في علم الدلالة، وصار ذلك منهجًا واسع الانتشار في الدراسات الاجتماعية واللغوية على حدّ سواء[٢٣].

ل) **التخطيط اللغوي**. ويعدّ التخطيط اللغوي من الموضوعات التي يعالجها علم اللغة الاجتماعي[٢٤]. ويمكن تعريفه بأنّه كلّ الجهود الواعية التي تهدف إلى تغيير السلوك اللغوي لأيّ جماعة لغوية، ووضع أهداف لغوية واضحة توجّه التغيّر اللغوي على صعيد الفصحى والعاميات في مختلف المجالات الحيوية. ويعتمد هذا التخطيط على وسائل علمية وصفية، وإحصاء دقيق للأحوال اللغوية الراهنة، ولِما يراد أن تكون عليه مستقبلًا. ويمكن أن يعدّ التخطيط اللغوي جزءًا من السياسة اللغوية التي تعتمد نتائج ذلك التخطيط، وتضعها ضمن أهداف الدولة وبرامجها التنفيذية.

م) **اللغة في المجتمع**. ويرصد علم اللغة الاجتماعي العلاقة بين اللغة والظواهر الاجتماعية الكبرى، كالثقافة، والدين، والتربية، والسياسة، والهوية.

---

(٢٢) المرجع السابق، ص٤٩-٥٠.

(٢٣) المرجع نفسه، ص٥١.

(٢٤) اللسانيات الاجتماعية لحسن كزار، ص٥٢.

ومعروف أنّ هذه الظواهر تؤدّى باللغة، فيحدث تأثّر وتأثير يشمل اللغة والمجتمع معًا. وهناك ارتباط بين اللغة والتاريخ، والتراث، وسير الرجال، ونحو ذلك كعلماء الدين، والشعراء والكتّاب، واللغويين، وسائر المؤلّفين.

والخلاصة أنّ علم اللغة الاجتماعي من أهمّ العلوم اللغوية التطبيقية، وأكثرها تطوّرًا، ونموًّا، واتّساعًا. ويمكن لهذا العلم الجديد أن يعالج ما فات علم اللغة أو اللسانيات النظرية من درس للظواهر الاجتماعية المختلفة. إذ جرى التركيز عادة على أنّ اللغة تُدرس في نفسها لنفسها، ولا تعترف بأي منهج خارج عنها، وأنّ المهمّ - ولا سيّما لدى الاتجاه التحويلي والتوليدي - هو كشف البنية الذهنية للّغة من غير تطرّق إلى «الكلام» الفعليّ، والخوض في ظروفه، وأساليبه، خلافًا لِما عليه علم اللغة الاجتماعي[٢٥]. ويمكن لهذا العلم أن يقدّم حلولًا ناجعة للمشكلات اللغوية في البلدان النامية، ومعالجة حالات التنوّع اللغوي التي خلّفها الاستعمار أو الغزو بالتضافر مع اللسانيات التطبيقية التي تعدّ أمًّا لهذا العلم الواعد.

* * *

(٢٥) يتعارض اتجاه هذا العلم (علم اللغة الاجتماعي) مع مقاربة تشومسكي الذي يجعل هدفه وصف كفاءة المتكلّم – السامع المثالي في إطار جماعة متجانسة، وذلك بالاعتماد على الأحكام القاعدية. انظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص١٩١.

المصادر والمراجع

أ) الكتب:

- ازدواجية اللغة لإبراهيم صالح الفلاي، الرياض، ط. أولى ١٩٩٦م
- تاريخ اللغات ومستقبلها لهارلد هارمان، ترجمة سامي شمعون، مراجعة محمد حرب فرزات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث بالدوحة، ٢٠٠٦م.
- تطوّر علم اللغة منذ عام ١٩٧٠م، لجرهارد هلبش، ترجمه وقدّم له سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط. أولى ٢٠٠٧م.
- الدليل إلى اللسانيات الاجتماعية لآلان بيل، ترجمة متيّم الضايع، دار الحوار باللاذقية، ط. أولى ٢٠١٩م.
- علم اللغة الاجتماعي لرالف فاسولد، ترجمة إبراهيم بن صالح محمد الفلاي، جامعة الملك سعود بالرياض، ٢٠٠٠م.
- علم اللغة الاجتماعي، مدخل لكمال بشر، دار غريب بالقاهرة، ط. ثالثة ١٩٩٧م.
- في اللسانيات الاجتماعية، ترجمات، دراسات، مقالات، لمحيي الدين محسب، كنوز المعرفة، عمّان، ط. أولى ٢٠١٨م- ١٤٣٩ه.
- في اللغة والمجتمع لأحمد محمد قدور، دار منهل القراء، حلب، ط. أولى ٢٠٢٠م.
- القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان لأوزولد ديكرو وجان ماري

سشايفر، ترجمة منذر عياشي، جامعة البحرين ٢٠٠٣م.
- اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة، التلقي والتمثلات، دار الرافدين، بيروت، ط. أولى ٢٠١٨م.
- اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها لكيس فرستيغ، ترجمة محمد الشرقاوي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م.
- من الدرس اللساني الاجتماعي لأحمد محمد قدّور، دار الفكر، دمشق، ط. أولى ٢٠٢٤م.

ب) البحوث

- «ازدواجية اللغة...» لمحمد راجي الزغول، مجلة المورد، المجلد / ١٤/ لعام ١٩٨٥م.
- «التخطيط التربوي ودوره في حماية اللغة العربية» لمحمود السيّد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٩٠)، الجزء الرابع لعام ٢٠١٧م.
- «اللسانيات الاجتماعية في نمطها الكمّي» لقويدر شنان، مجلة جسور المعرفة، المجلد (٤)، (١٦) لعام ٢٠١٨م.